

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

توظيف الرمز والأسطورة والقناع والتضمين في شعر صلاح عبد الصبور Employing Symbol; Legend And Mask And Embedding In Poetry Of Salah Abdel Sabour

1بن مريسي قدور Benmerissi Kaddour، 2قدوسي نورالدين Kadouci Noureddine

1 طالب دكتوراه ل م د ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، مخبر تجديد النحو العربي

Kaddour.Benmerissi@univ-Tlemcen.dz

PhD student LMD, University of Abu Bakr Belkaid Tlemcen, Faculty of Literatures and Languages,
Department of Arabic Language and Literature, Arabic Grammar Renewal Laboratory

2 المشرف جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، مخبر تجديد النحو العربي

nouredine.Kadouci@univ-tlemcen.dz

Lecturer professor A, University of Abu Bakr Belkaid Tlemcen, Faculty of Literatures and Languages,
Department of Arabic Language and Literature, Arabic Grammar Renewal Laboratory

المؤلف المرسل (باللغتين): بن مريسي قدور Benmerissi Kaddour

الإيميل: Kaddour.Benmerissi@univ-Tlemcen.dz

تاريخ القبول : 2022-03-27

2021-11-15

تاريخ الاستلام:

الملخص باللغة العربية:

لقد كانت الأساطير و الرموز مادة استلهاهم خصبة للشعراء المعاصرين ، من خلال قدرتها على تجديد المعنى بما تحويه من إحياءات و تأويلات مغايرة للواقع ، فهي أيضا تعطي قدرة على الولوج لعالم الخيال والأحلام ، و تنهض على رؤية جمالية دون أن تنفصل عن الواقع دون عودة ، وقد اجتراً عليها الشاعر المعاصر لتدعيم تعبيره الشعري موظفا إياها وفق عدة مستويات و طرائق بما يجعلها تحمل روحا جديدة و رؤية معاصرة . إن الشاعر الناجح الذي يعرف كيف يجدل الواقع في الحلم، والتاريخي في الخرافي، والخاص في العام.و يُعد صلاح عبد الصبور من جيل الرواد الأوائل الذين عمدوا إلى استعارة الأسطورة القديمة والرمز والقناع والتضمين و وظفوها في أشعارهم، وضمنوها مفاهيمهم و مشاعرهم. وعبروا عن مواقفهم الخاصة من الحياة.

الكلمات المفتاحية: صلاح عبد الصبور – الرمز – الأسطورة – القناع – التضمين .

Abstract:

Myths and symbols have been a fertile inspiration for contemporary poets, from through its ability to renew the meaning with its contents of suggestions and interpretations contrary to reality. It also gives the ability to enter the world of imagination and dreams, and rises on an aesthetic vision without to separate from reality without return, and the contemporary poet has dared to strengthen his poetic Expression Employing it according to several levels and modalities, making it carry a new spirit and a contemporary vision

The successful poet who knows how to argue the reality in the dream, the historical in the myth and the Special In the year.

Salah Abdel-Sabour is one of the first generation of pioneers who borrowed the legend They used the old symbol and the mask and Embedding and employed them in their poems, and included their concepts and feelings, and expressed their own attitudes towards life.

Key words: Salah Abdel-Sabour –symbol- Myth- Mask- Embedding.

تعبيرية هائلة تسعف الشاعر حين يلوذ بها ، لقد جاءت الكثير من المتون الشعرية لصلاح عبد الصبور متميزة و محملة بجوهرها اللازماني الفياض متحررة من قيود الزمان و المكان ، معبرة بنضج في حالات عن وعي الشاعر العميق بمأساة الإنسان .

مقدمة:

- يحاول المقال التعرض لتوظيف الرمز و الأسطورة و القناع في شعر صلاح عبد الصبور الذي انفتح على عطاء و منجزات الشعر الغربي الحديث ، و تأثره العميق و تمثله الناضج لأهم التجارب و قد تنبه عبد الصبور إلى قيمة و وظيفة الرمز و الأسطورة ، بما تنطوي عليه كل منها من مكان و قدرات

توظيف الرمز والأسطورة والقناع والتضمين في شعر صلاح عبد الصبور.

أولاً: الرمز:

لما كانت اللغة العادية التي لا تتعدي المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية المهمة ، لجأ الشاعر إلى الرمز - لا إلى الإشارة التي تعبر عن اللغة العادية و تقصر عن الإيضاح في الأغلب - لما فيه من قدرة خارقة على ذبوع عالم اللاوعي الذي تقصر اللغة العادية وتفتقدها نظراً لعالمها الحسي الذي لا تنوي مفارقتها، في حين أن النفس الإنسانية أسمى من المادية¹

و الرمز بعض لغة القصيدة الشعرية الحديثة والمعاصرة ، و هو اصطلاح يعطي لشيء منظور للعقل صورة لشيء غير مرئي ، و لكنه يفهم على أساس التداخي بين هذين الشئيين. و إذا كان الرمز يتجلى في الشعر بشكل أساسي و صميم "فهو يظهر كمصطلح في المنطق، في الرياضيات ، في نظرية المعرفة ، في علم الدلالات و علم الإشارات ، كما أن له تاريخاً طويلاً في عوالم الطقوس و الفنون الجميلة و الشعر ... العنصر المشترك في كل هذه الاستعمالات الدراجة ربما كان ذلك الشيء الذي ينوب عنه ، أو يمثل شيئاً آخر.²

إن الرمز وسيلة تعبير عن زوايا غامضة في النفس لا تقوى لغتنا - وهي لغة الجوامد - أن تعبر عنها - فحوّل العقل الواعي الذي تُكوّنه ألفاظ حياتنا البيولوجية حالة مغمورة بالضباب والإيهام ، ينهّد دونهما التعبير المادي ، و يجدر أن ينقشع هذا الستار المهم ، الذي يكشف الذات ، فبينما نرى الألفاظ العادية مأسورة في حدود الشيء الملموس ، نتبين أن الرمز يلج تلك الصلة العجيبة المسماة بمخبات اللاوعي ، فهمة الرمز أن يخترق تلك المخبات، وما وراء الواقع وصولاً لأعالي عالم الأفكار³

1- الرمز الشعري:

الشعر تجربة ذات طبيعة خاصة ، تجنح نحو الإيغال و الاستبطان و الكشف ، الشمولية و المغامرة و الالتحد الانفعالية و الكثافة و الغموض ، والتعقيد و التعدد و اللاواقعية ، لكن كيف يمكن التعبير بالمحدد عن اللامحدد ، بالواضح عن الغامض ، بالبسيط عن المعقد ؟ مجد بودلير شارل Charles Boudlaire ، الرمز و كان يرى أن كل ما في

الكون رمز" و كل مايقع في متناول الحواس رمز ، يستمد قيمته من ملاحظة "الفنان" لما بين معطيات الحواس المختلفة من علاقات⁴ ، قد يفجر الرمز قضية ما ، وقد يثير إحساساً بمشكلة وجودي ، أو مشكل حضاري ، ولكنه لا يفعل ذلك من خلال الدلالة عليه ، أو الإشارة إليه ، وإنما يفعله من خلال تشكيل جمالي معادل ، أي أنه يشكل موقفاً جمالياً معيناً و يرمز إلى موقف وجودي معين ، أو موقف حضاري معين ، وبذلك تختفي الدلالة على ، أو التعبير عن ، ليحل محلها الموقف المعادل للموقف التاريخي ... أي الموقف الجمالي المعادل للموقف التاريخي ... وقد يتضح الفرق بين الوضعيتين من تأمل "الرمز" الجمالي كمعطى قابل للعديد من التأويلات ، بينما هو في جوهره واحد لم يتعدد ، فإذا حشد الشاعر مثلاً - من الطوفان ، رمز الطغيان في قصيدة ما ، فقد تتوارد على هذا الرمز تأويلات تبتعد به عن الرمز للطغيان إلى الرمز للعديد من الأشياء المغايرة ، ربما تكون قريبة من الطغيان و لكنها ليست هو على التخصيص ، فإذا انتفت الدلالة المحددة في الرمز على شئ معين بالذات ، فذلك هو الرمز الشعري ، أما إذا تحددت الدلالة في الرمز فجسدت مدلولاً معيناً بالذات ، فذلك هو الرمز العلمي⁵

2- توظيف الرمز:

استخدم صلاح عبد الصبور من التاريخ ، رمز "التتار" الدال على عناصر للقوى المهاجمة لحصون الأمة العربية (العدوان الثلاثي على مصر) إذ حشد في قصيدته تلك ستا و ثلاثين كلمة تدل على معاني الدمار و الخراب و البكاء و الهول ، والجوع ، و العطش وو...مني بها العرب في معاركهم الحديثة و يقصد به العدوان الثلاثي على مصر كما أسلفنا حيث يقول في المقطع الأول: من قصيدة هجم التتار⁶

هجم التتار

ورموا مدينتنا العريقة بالدمار

رجعت كتابتنا ممزقة و قد حيي الهزأ

الراية السوداء ، و الجرحى ، و قافلة موات

الطبله الجوفاء و الخطو الذليل بلا التفات

فهذا الرمز يشير إلى الانحلال و التدمير و القذارة و القسوة و الأفكار الهمجية ، وعلى امتداد القصيدة لم يذكرنا عبد الصبور من خلال التتار بالواقع التاريخي فقط ، ففلول التتار و مرورهم كالجراد على مدينة محترقة و حقبة زمنية أغلق عليها الزمن أهدا به و نام ، فقد أسخطنا على كل التتار " في العالم القديم و العالم المعاصر ، و جعلنا نتحسس لفح النار على وجوهنا مازال ، وذكّرنا بمأساة حرب الخليج الثانية – مثلا- على بغداد بعد الحصار وسرايفو ، وذكّرنا كيف تحترق المدن العامرة بالحب و الأطفال ، و كيف تنهب الآثار من المتاحف ، و كيف يُحكم العالم بقوة الحديد و النار . و في قصيدة طفل يرمز صلاح عبد الصبور بالطفل إلى ذلك الحب النضير الوديع المحتضر. ويبدأ عنصر العلاقة الرمزية ، الطفل و الحب – في التفاعل منه بداية القصيدة ليعطي كل منهما للآخر ويأخذ منه ، ومن خلال هذا التفاعل الخلاق ينمو الرمز و تنمو القصيدة . فاختيار الرمز هنا اختيار شخصي، فالشاعر رأى بأن يرمز لحبه بالطفل و ذلك لما للطفل من براءة و عفوية... ثم أن هنالك تشابه بين الطفل و الحب ، فكلاهما نتاج علاقة بين رجل وامرأة ، ثم أن استخدام مفرد (صبي) يدل على أن هذا الحب لم ينشأ بين ليلة و ضحاها ، بل يمتد إلى فترة زمنية ، فهو ابن السنين الداميات العاريات من الفرح ، يقول صلاح عبد الصبور⁷

هذا الصبي ابن السنين الداميات العاريات من الفرح

هو فرحتي لا تلمسيه

أسكنته صدري فنام

و سدّته قلبي الكسير

و سقيتُ مدفنه دمي

و جعلتُ حائطه الضلوع

ليزوره عمري الطّي

وفي "رحلة في الليل" يرمز في مقطع "أغنية صغيرة" بالأجلد المنهوم والطائر الصغير و فرخه الزغيب ، إلى ذلك القدر القاهر الذي يترصد كل ماهو بريئ و وديع في الحياة يقول:⁸

إليك يا صديقتي أغنية صغيرة عن طائر صغير

في عشه واحدُ الزغيبُ

و إلفه الحبيب

يكفيهما من الشراب حشوتا منقار

و من بيارد الغلال حبتان

و في ظلام الليل يعقد الجناح صُرّة من الحنان

على وحيدة الزغيب

ذات مساء : حط من أعالي السماء...أجلد منهوم

يشرب الدماء

ويعلكُ الأشلاء و الذماء

و حار طائري الصغير برهة ثم انتفض

معذرة صديقتي

حكايتي حزينة الختام

لأنني حزين .

و في أغنية ولاء ينسج خيوط علاقة رمزية عميقة بين التجربة الصوفية و التجربة الشعرية ، وبين المعشوق في التجربة الصوفية و الشعر. وبين العاشق الصوفي و الشاعر ، و تتشابك هذه الخيوط و تتلاحم .

يقول صلاح عبد الصبور:⁹

"و من أراد أن يعيش فليمت شهيد عشق "

أنا هنا ملقى على الجدار

و قد دفنت في الخيال قلبي الوديع

و جسي الصريع

في مهمة الخيال قد دفنت قلبي الوديع

يا أمها الحبيب

أليس لي في المجلس السّي حبوّة التبّع

4-توظيف الرمز التراثي:

فإنني مطيع

و خادم سميع .

يعد الشاعر صلاح عبد الصبور من أوائل من وظف صورة السندباد ، فلقد تميز شعره بالحضور السندبادي الكثيف في تعبيره عن الوضع السياسي ، فالسند باد عنده معادل موضوعي للحياة السياسية المهمة في مصر ما بعد ثورة –يوليو-، يظهر السندباد في "قصيدة" "رحلة في الليل" لصلاح عبد الصبور ليعبر عن حالة القلق و الريبة الشديدة، فجو القصيدة و اسمها يوحي بتلك الحالة "فرحلة في الليل" يقوم بها السندباد من أجل العودة بالصبح (الحرية) الذي ينشر البهجة و الدفء في كل مكان ، و لأن السندباد الشاعر قبل التحدي والارتحال فسرعان ما يعود مع انبلاج ضوء الصباح ، و كأنه يقول إن الأمل مازال قائما ولكنه يتطلب الجهد و العرق و المثابرة .

"يستخدم عبد الصبور مع قارنه أسلوب الرحلة الزمنية و المكانية داخل القصيدة ، فتارة هو مع السندباد في جولاته ، و تارة مع الوطن الذي صار رقعة للشطرنج ، يحركه الحكام كيفما شاءوا و بمساعدة الشعب الخامل المستسلم"يقول عبد الصبور:¹²

"الرُّخْ ماثُ – لا تراغُ – فالشاه مايزالُ"

و الشاه بالبيادق التأم

- ثانيا-توظيف الأسطورة في شعر صلاح عبد الصبور:

تعتبر الأسطورة من أهم الرموز الشعرية الحديثة و المعاصرة ، فمنذ رحلة الإحياء والبعث للشعر العربي ، ثم التطوير و التحديث فيه ، و الأسطورة من لغة القصيدة الشعرية (المعاصرة...على الأقل) "وهي اصطلاح يشترك فيه الفولكلور ، و علم الإنسان ،وعلم الاجتماع ، و التحليل النفسي ، و الفنون الجميلة¹³.الأسطورة كما يقول "هرمن بروخ" هي سذاجة البداية ، هي لغة الكلمات الأولى والرموز البدائية ، و على كل عصر أن يكتشفها بنفسه من جديد .. إنها نظرة لا تقوم على العقل ،بل هي نظرة مباشرة إلي العالم ،هي اللمحة الأصيلة للنظرة الأولى،إنها العالم بأسره في صورة واحدة لا تتجزأ¹⁴ . الأسطورة في الشعر ليست زخرفا تراثيا ، وإنما هي فعالية فنية لأن الشاعر يتكئ عليها في تجسيد همومه الروحية و الحياتية بما لها من جاذبية خاصة ، و قدرة على تهديم

3-الرمز التراثي:

تستدعي الرمز التراثي رؤى معينة لأنها -إلى مدى ما - تحدتت في أطر قيمية معينة ... "ليس معني ذلك أن الشاعر المعاصر لابد أن يخلق رموزه الخاصة بالضرورة ، فقد يجد في الرموز التراثية أوعية قادرة على حضانة همومه الآنية والسفر بها في أقاليم الخصب و الامتداد ، "إنّ الرمز بذاته لا يخلق عملا شعريا ناجحا ،ولكن الذي يفعل ذلك هو توظيف الرمز في مناطه الطبيعي من حركة الإبداع الشعري¹⁰ . وقد وظف صلاح عبد الصبور شخصية السندباد توظيفا فنيا رمزيا ، و أضفى عليها ملامح معاصرة، فأصبح السند باد مغامرا عصريا رحلته في بحار المعاناة الروحية و النفسية لاقتناص الومضة الشعرية ، و صراعه مع الحروف النافرة، الجموح، المهمة الملامح من أجل ترويضها حتى تستقيم كلمات شاعرة ، و تبلغ هذه المعاناة ذروة توترها في آخر المساء ،ذلك الوقت الذي يرخي الشاعر السندباد الشراع لسفينته لتبحر في بحر العناء و المكابدة ، فيمتلأ و ساد بالورق الناتج عن المحاولات المتكررة لتطويع الكلمات المهمة الخطوط كوجه فأر ميت ...انه تصوير شعري بارع لهذا المخاض الذي يعاينه الفنان في سبيل إبداع العمل الفني الحق"يقول : صلاح عبد الصبور في قصيدة السند باد :¹¹

في آخر المساء يمتلي الوساد بالورق

كوجه فأرميت طلاسـم الخطوط

و ينضح الجبين بالعرق

و يلتوي الدخان أخطبوط

في آخر المساء عاد السند باد

ليرسي السفين

و في الصباح يعقد الندمان مجلس الندم

ليسمعوا حكاية الضياع في بحر العدم.

حواجز الزمن بأضلاعه المثلثة ، الماضي والحاضر والمستقبل

15

حدثنا صلاح عبد الصبور في كتابه "حياتي في الشعر" أن الأسطورة تعبير عن الذات الإنسانية في وحدتها وجوهرها ... هي لا معقولة بيد أنها ليست منافية للعقل ، والدافع إلى استعمال الأسطورة في الشعر ليس مجرد معرفتها ، ولكن محاولة إعطاء القصيدة عمقاً أكثر من عمقها الظاهر ، ونقل التجربة من مستواها الشخصي الذاتي إلى مستوى إنساني جوهري أو هو حفر القصيدة في التاريخ ، فمن حقنا أن لا نستعمل الأسطورة فحسب ، بل كل المادة التاريخية المتاحة لنا من أساطير وقصص ديني وشعبي وأحداث حقيقية مؤثرة في حياة الإنسان¹⁶

1- توظيف الأسطورة الفرعونية:

يوظف الشاعر صلاح عبد الصبور صورة "أبي الهول" الأسطورية ، رامزا بها إلى الاستعمار في كل مكان ، أولئك الذين يكدون لمصر ، ويتأمررون لإيقاعها في حبالهم كما يفعل "أبو الهول" بأسئلته وألغازه ، ليوقع بفريسته في برائته ، فأبو الهول "عبد الصبور" يسلب الوطن المصري روحه وخيره ، لينعم به ، ويترك أهله يعيشون حياة الكهف .

"يقول صلاح عبد الصبور:¹⁷

هذا أبو الهول المخيف .

نصب السُرادق عند باب مدينتي للقادمين

و للعائدين

و الهاربين إلى الفضاء

و الوالجين إلى البناء

لا لم يدع أحدا ..

إلا وألقى دونه هذا السؤال .

"لقد تحول أبو الهول الإله الذكر الفرعوني إلى لبؤة إغريقية ، تتميز بالشر والأذى ، الذي نصبه على البشر ، ولم يكن أبو الهول أنثى في الحضارة الفرعونية إلا في حالات نادرة و لكنه لم يتميز مطلقا بالشر والأذى ، لأنه أوقع بهم الأذى بوصفهم

أعداء مصر ، وربما يتأكد ذلك لو عرفنا أن أبا الهول الإغريقي كان يلقي ألغازه الصعبة على الوافدين ، و من يفشل في حلها أو اجتيازها يتخلص منه ، وهذه صورة مقاربة لما كان يفعله أبو الهول الفرعوني الذي كان يُنكل بالوافدين الغزاة"¹⁸ ، لقد تربص أبو الهول "المستعمر" ببناء الوطن ، يريد أن يقهرهم بلؤمه وخبثه وألغازه ، تلك الألغاز التي يهدف بها إلى استبعاد الأحرار ، و دفعهم إلى الرضا بتجبره واستعمارهم ، فمن يخطئ في الإجابة ، و يرفض الخنوع ، يطرد ، و من يحسن الإجابة ، ينعم و يتنعم برشاوى المستعمر السخية .

يقول صلاح عبد الصبور:¹⁹

من خالق الدنيا

الملتحنون تهللوا و أجاب رائدهم بصوت مستفيض .

الله خالقها ..! وهذا لا يصح به سؤال

وعوى أبو الهول المخيف ، وقلب الوجه الكئيب إلى اليسار

رمى بجميع الملتحنين إلى الدمار .

لقد تخلى أبو الهول المستعمر عن كل قيمة دينية ، فهو لا يعرف الله . ولا فروضه ، ولا ينتظر رضاه ، لذلك فهو يريد أن يكون مكانه الخالق المانع المانع ، لذلك فهو يصول و يجول في الأوطان خرابا و تدميرا و تقتيلا لأولئك الذين يرفضون استعباده للبشر ، بوصفه الإله الجديد الذي لا تعصى أوامره ، ويستمر هذا الإله الجديد أبو الهول المستعمر في البحث عن أعوانه و كهانه الخونة ، ملقيا أسئلته على الخالق:

يقول صلاح عبد الصبور:²⁰

و الأمرؤدون تأملوا ، و أجاب رائدهم بصوت مستفيض !

لا نستطيع ! بل نحن نعرف انه قدم الطبيعة

و عوى أبو الهول المخيف ، و قلب الوجه الكئيب إلى اليسار

ورمى بجميع الأمرؤدين إلى الدمار .

لم يرحم أبو الهول / المستعمر أولئك الذين كفروا بالله الواحد ، لكنهم لم يكفروا بنعمة التفكير و التأمل ، ولم يكفروا

بعد أن يمنح هذه الشخصيات وجودا مستقلا عن ذاته، بقصد تحقيق الموضوعية و الدرامية لقصيدته، وهذه الشخصيات التي يستدعيها "صلاح" قد تكون شخصيات تراثية معروفة بدلالاتها التي استقرت بها في الماضي، وقد تكون شخصيات من خلق خيال الشاعر، تظل باقية في زمن المتلقي، مما يكسب هذا أثرا عميقا في النفس. وقد أشار "صلاح عبد الصبور" إلى منهجه الشعري في توظيف أقنعة الأسطورة و القصص الديني و الشعبي، حيث يعمد إلى استخراج القيمة في الأسطورة و يعيد عرضها على تجربته الخاصة بغية إعطاء هذه التجربة بعدها الموضوعي قائلا: إن ذلك المنهج يتصل بما فهمه من مطلع حياته الشعرية من نظرية الموروث الأدبي للإليوت²⁶ يقول صلاح عبد الصبور: "أنا أستعمل الرمز و الأسطورة بحذر شديد لأن استعمالها يحجب وجه القصيدة"²⁷، وظف صلاح عبد الصبور تقنية "القناع" في قصيدته "مذكرات الملك عجيب بن الخصب" و التي يقول فيها²⁸

لم آخذ الحكم بحد السيف بل ورثته

عن جدي السابع و العشرين (إن كان الزنا

لم يتخلل في جذورنا

لكنني أشبهه في صورة أبدعها رسامه .

رسامه... كان عشيق الملكة)

في قصة ألف ليلة و ليلة تلعب شخصية ابن الخصب دورا مهما و تحديدا في قصة الصعاليك الثلاثة، فهي تشير إلى تغلب الأحوال و إلي عاقبة الاستهتار و عدم المبالاة، فالشاعر "صلاح عبد الصبور" يلتقط من قصة الصعلوك الثالث خيط شخصية ابن الخصب الملك الذي فقد ملكه، ليسقطها على الواقع السياسي المصري في حقبة الستينيات .

حيث أراد تصوير نظام انتقال السلطة و الحكم في مصر، فعجيب "صلاح عبد الصبور" يرث الحكم بطريقة ساخرة، يصور عبد الصبور الطريقة التي وصل بها الملك عجيب "وهي الإرث، فلقد كانت أسرته تحكم من جده السابع و العشرين، وعجيب يستخدم النفي في حديثه وكأنه يؤكد أن الحكم جاء إليه مصادفة، فهو ليس جديرا به، وهذا حال حكام ثورة - يوليو-، الذين جاءهم الحكم مصادفة دون جدارة أو حنكة

بوطنهم، ولم يرضخوا له، فألقى بهم إلى الجحيم، لأنه لا يريد الكفر بالله الخالق فقط بل بكل شيء سواه .

ثالثا- توظيف القناع :

"يُعد القناع من أبرز التقنيات التعبيرية المعاصرة التي برع عبد الصبور في أساليبها، وقد غطت هذه التقنية مساحة المنظومة التواصلية في الشعر باتجاه حدثي يبعده عن الغنائية بقدر ما يشده إلى الاحتدام و الدرامية"²¹ .

1- مفهوم القناع :لغة :

تشير كلمة قناع في اللغة العربية إلى معان لغوية متعددة تدور في دلالات متفاوتة نسبيا، فقد ورد في لسان العرب مادة قنع "أن القناع ما تغطى به المرأة رأسها" و في حديث عمر أنه رأى جارية عليها قناع فضربها بالدرّة²² و القناع أوسع من المقنعة .

2- اصطلاحا:

القناع وجه مستعار من ورق مقوى أو نسيج أجل أو غيره يثبت على وجه الممثل لتخفى ملامحه الأساسية، فيتخذ نمطا محدودا و صفات ثابتة، أو هو الشخصية التي تظهر غير ما تضمّر والقناع رمز يتخذه الشاعر "ليضيفي على صورته نبرة موضوعية"²³ وهو رؤيا يتحقق فيها التفاعل بين الذات و الموضوع²⁴، أي أنه الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر عن نفسه متجدا من ذاتيته، و القناع وسيلة درامية استخدمت في رقص القبائل، ثم انتقلت إلى الاحتفالات الدينية في المسرح الإغريقي وسواه، و لا تزال تستخدم حتى يومنا هذا، فالقناع مصطلح مسرحي أساسا لم يدخل الشعر، إلا مع بدايات هذا القرن (العشرين)، ليعبر عن لون متقدم من التوظيف الشعري للرموز و الشخصيات، حيث يتكلم الشاعر بلسان الشخصية التي يقصدها كما يقول "إحسان عباس": هو شخصية تاريخية في الغالب يختبئ الشاعر و راءها ليعبر عن موقف يريد.²⁵ لقد استغل "صلاح عبد الصبور" تقنية تعدد الأصوات، وهو أحد العناصر الدرامية في بناء القصيدة عنده و الذي يحقق لها الموضوعية و عمق التأثير. وقد تجسدت هذه التقنية في أشكال عديدة من أبرزها تعدد الشخصيات و تعدد الأوزان و النغمات و ذلك من خلال توظيف صلاح عبد الصبور الشخصية (الشخصيات أداة لتجسيد تجربته توفير المعادل الموضوعي لها، حيث يتخذ هذه الشخصيات قناعا / أقنعة يث من خلالها ما يدور في مخيلته من عواطف و أفكار

من الوليمة السخية مناصب ،أموال لكنهم ندموا، و أثروا
الابتعاد عن زمرة الحكام الظالمين .يقول صلاح عبد الصبور³²
و آخرُ أنكرهُ ثلاثا قبل انبلاج الفجر

وبعد أن مات اطمأنت شفتاه

ثم مشى مكررا مفاخرا بأنه رآه

باسمه صار مباركا مُعمداً .

كما أنكر يهوذا نبوءة المسيح وأسلمه للطغيان ،أنكر حكام
يوليو حقوق الشعب و حكموا باسمه ،وقد زعموا محبة
الوطن ،وزيفوا الحقائق و أعلنوا أنهم أصحاب النصر و
الحرية .

رابعاً :التضمين : والتضمين ليس هو التضمين البلاغي
المعروف في المصطلح البلاغي القديم كلون من ألوان التجميل
أو التمثيل ، وإنما هو قيمة تعبيرية تتكئ على نوع من
الاستدعاء الشعري ،لدفق مزيد من الحيوية و الثراء في
شرايين النص المعاصر ، و ليس استعراضا ثقافيا يريد
الشاعر من ورائه أن يبهز قراءه أو يستولي على مناطق
الإعجاب فيهم بما يحتضن من ثقافات ...لكن التضمين عملية
تفجيرية إذا جاز أن يقال ، تفتح الحاضر على الماضي و الماضي
على الحاضر ،و الإبداع على التقاليد ،و الذات على الموضوع ،
و المتحقق على المتخيل ،و الوجودي على الأسطورة...التضمين
يخلق الإحساس بالمفارقة عن طريق الصوت والمعنى بين حياة
العصر الحاضر و حياة العصور الأخرى))³³

"وبالمزج بين الأدائين" ،أداء النص الأصلي ، و أداء النص
المتضمن ،تختصر المسافة بين الصوتين ،ليلتبس كل منهما
الأخر "مع المشابهة في الموضوع ،قد تنبثق مفارقة أو مفارقات

بحكم اختلاف الظرف التاريخي ،فتضاف إلى المعنى المضمن -
نتيجة لذلك- شذرات تحويرية تتسق مع الحالة المفارقة بما
يشبه تنويعات على الفكرة الأولى ،ومن ثم فقد يُضمّن الشاعر
المعاصر بيتا أو أبياتا أو جزء منه ،وقد يعمد إلى تحرير البيت
أو الأبيات المضمنة .

سياسية .يشير "عبد الصبور" إلى الشك في شرعية حكم
عجيب /حكام -يوليو- فيقول : إن كان الزنا لم يتخلل
جذورنا/رسامه ...كان عشيق الملكة .

فحديث عجيب عن الزنا لا يقصد به الزنا الحقيقي ،وإنما
يقصد تلك الثورة التي أفرزت حكاما غير شرعيين في إشارة إلى
علاقة الجيش بالملك قبل الثورة . كما استفاد "صلاح عبد
الصبور" من فكرة (الصلب) فاستخدم الصلب التاريخي رمزا
للسلب المعاصر، فيستغل بعض جوانب قصة المسيح ليرسم
بها صورة مصر الستينيات، تلك الفترة التي شهدت بدايات
التضحية بالمصريين فداءا لحكام -يوليو- ومناصبهم ،فصار
الشعب المصري مسيحا جديدا يضحي به يهوذا في سبيل الجاه
و السلطان و المال يقول : صلاح عبد الصبور²⁹

كان له أصحاب

و عاهدوه في مساء حزنه ...

ألا يُسلموه للجنود

أو ينكروه عندما يطلبه السلطان

يوظف عبد الصبور اللحظات الأخيرة من حياة "عيسى" .تلك
اللحظات التي خانته حواريه وأسلموه للرومان و أنكروه
،لتعبّر عن حالة مصر في الستينيات ،تلك الفترة التي عاهد
حكام يوليو المصريين على الحرية و العدل و الديمقراطية و
المساواة ،كما عاهد الحواريون عيسى على التضحية و الإيمان
و عدم الخيانة ، لكنهم خانوا المسيح /الوطن و أسلموه للقهر
و للهزيمة ، و لقد ارتبطت صورة حكام يوليو بصورة يهوذا
الخائن لنبي الله عيسى وقدسيته³⁰ .

يقول : صلاح عبد الصبور:³¹

فواحد أسلمه لقاء حفنة من النقود

ثم انتحز.

يفارق عبد الصبور بين قصة المسيح وبين صورته الرمزية
،مضيفا بعض الأحداث المبتكرة لإضفاء نوع من الدرامية على
القصيدة ،و لتلائم طوائف حكام "يوليو" فبعضهم أسهم في
خداع الشعب و تسليمه لعبد الناصر و زبائنه ،مقابل حظ

إن صلاح عبد الصبور أراد أن يصدم القارئ الذي لا يعرف معنى البيت لكي يتهيا إلى ما يأتي بعده ، مستفيدا من المفارقة للانتقال إلى إحساس جديد ، وإن كان الإيقاع لا يمكن أن يتم بدون فهم واضح للأسطر أو على الأقل النغمة العاطفية العامة فإن النص الفرنسي يكون بمثابة النشاز داخل النص ، فيقوم بدور الصدمة والتي تعمل على إفاقة القارئ فلا يسترسل مع الإيقاع في الأسطر السابقة ، بل يتأمل النص ويعمل ذهنه فيه محاولا سبر أغواره ، وفك رموزه³⁶.

خاتمة:

لجأ "صلاح عبد الصبور" إلى الأسطورة لما لها من رموز أو لمالها من لغة رمزية "و ما تنطوي عليه من غني و امتلاء و طاقة إيحائية دلالية فأقبل عليها و تفنن في إعادة بعثها و استخدامها ، كما عمد إلى تضمينها مفاهيمه و مشاعره ، وعبر بها عن مواقفه الخاصة من الحياة .

- إن استغلال و توظيف الأسطورة في أشعار "صلاح عبد الصبور" قد أكسبها أبعادا جمالية ، لأنه استخدمها بمهارة و اقتدار فنيين عبر عدة طرق بالرمز والأقنعة وغيرها من الأساليب

- إن توظيف الأسطورة لم يكن بالقضية الهينة ، بل تطلب من الشاعر "صلاح عبد الصبور" قدرا عاليا من التجريب و المهارة و الخبرة و تأثيرها (الأسطورة) عميق على الأعمال الأدبية و الفنية أمر جدير بالاهتمام ، فقد وجد فيها الشاعر مجالا رحبا ومتسعا للتعبير عن كل ما يختلج في دواخله من أحلام ورغبات ، منها تغيير واقع وطنه و أمته ، التي تتطلع إلى التجدد و الانبعاث .

. نجح الشاعر "صلاح عبد الصبور" في تحقيق رؤية نقدية ، وتحقيق العلاقة الجدلية بين الموضوعية التاريخية و الموضوعية الحديثة ، وأسس علاقة بنائية متكافئة بين الرؤيا الذاتية و الموضوعية التاريخية ، وهو القائل : أنا استعمل الرمز و الأسطورة بحذر شديد لأن استعمالها يحجب وجه القصيدة.

- استفاد صلاح عبد الصبور من المزايا الخصبة للأساطير و الرموز بعناصرهما المختلفة و استلزم منه درجة من الوعي

كما يوظف التحوير للإبانة عن روح المفارقة الأليمة على نحو أشبه بإيماء مختصر و حاد إلى أزمنته المعاصرة³⁴

و يعد التضمين تقنية شعرية هامة في جماليات الشعر إذ أنها تعبر عن التوتر والصراع داخل القصيدة ، كما أنه يثري الإيقاع لأنه يعد "عاكسا للصراع بين المستوى النحوي للقصيدة و النظام الإيقاعي لها ... كما أن ثمة صراعا هنا بين النثر و الشعر يسببه التضمين ، ويكشف عنه ، وهو صراع لا يؤدي إلى التوتر فحسب ، بل هو يعكس أيضا موقفا خاصا بمفهوم الشعر و وظيفته³⁵

1-توظيف التضمين في شعر صلاح عبد الصبور .

نجد صلاح عبد الصبور في قصيدته عن بودلير Boudelaire يُضمّن البيت الآتي:

« You ! hypocrite lecture !- mon semblable »

Mon frère !

أنت أيها المخادع ... إنك تشبيني ، فأنت أخي.

أنت لما عشقت الرحيل / لم تجد موطننا / يا حبيب الفضاء الذي لم تجسسه قدم / يا عشيق البحار و خلّان القمم / يا أسير الفؤاد الملول / و غريب المني يا صديقي أنا /

hypocrite lecture mon semblable Mon frère !

شاعر أنت و الكون نثر / و النفاق ارتدى أجنحة / و تزيأ بزي ملاك جميل / و الطريق طويل

و التغني اجتراء على كشف سر / في عيون النساء / طفت لما تجد / في السماء التي أطرقت

معجبة / فوق بحر سجا كالزجاج الرهيف / لم تجد .. لم تجد / في الدخان الذي ينعقد / ثم يهوي

أمام العيون كثوب شفيف / لم تجد ... لم تجد / فعشقت الرحيل / في بحر المني / يا فؤادا

ملول / يا صديقي أنا .

(13) خليل الموسى: بنية القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003.

(16) إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر عالم المعرفة الكويت، 1998.

(17) صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، 1998.

(18) حيدر توفيق بيضون/ صلاح عبد الصبور: قصيدة مصر الحديثة، ط1، دار الكتب، بيروت، لبنان، 1993.

(19) صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، ط2، دار العودة بيروت، لبنان، 1977.

المقالات:

(1) أحمد جابر عصفور: أقنعة الشعر المعاصر مهبّار الدمشقي فصول، عدد 04، ط1، يوليو، 1991.

(2) أحمد محمد العزب: وظيفة الرمز والأسطورة وغيرهما في الشعر العربي الحديث، مجلة الفيصل، فبراير 1984، العدد 83.

(3) رجاء عيد: الأداء الفني والقصيدة الجديدة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، أكتوبر، مارس 1987، مجلد 07، ع281.

(4) 'البحراوي سيد: التضمين، مجة فصول، مجلة فصول، المجلد السابق، أبريل-سبتمبر 1987، العدد 3-4.

الفكري و المعرفة العميقة بالقيم الفنية التي أرساها الشعر و النقد في الآداب الأجنبية .

.لقد كان تأثير إليوت كبيراً خاصة فيما يتعلق بالتضمين الذي كان بمثابة تقنية جديدة نهل منها صلاح عبد الصبور و استخدمها بصورة متباينة .

قائمة المراجع:

• الكتب:

(1) هاني إسماعيل أبو رطيبة: الرمز و الأسطورة في الخطاب الشعري السياسي، ط1، دار دجلة، عمان الأردن، 2016 – 1437.

(2) وارين ويليك و وارن استن: نظرية الأدب تعريب الدكتور . عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية. 1992.

(3) فتوح أحمد: الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط 3. 1984.

(4) ديوان صلاح عبد الصبور: ط1، دار العودة، بيروت، 1972،

(5) صلاح عبد الصبور: الأعمال الكاملة، ط1، دار العودة، دار العودة، بيروت. 1972.

(6) أمنة بلعلي: أبجدية القراءة النقدية، دراسة تطبيقية في الشعر العربي المعاصر، السياب، عبد الصبور، خليل حاوي، أدوسين د.م.ج، الجزائر. 1995.

(7) علي عشري زايد: قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، 1998.

(8) هاني إسماعيل أبو رطيبة، الرمز و الأسطورة في الخطاب الشعري السياسي، ط1، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية. 2016.

(9) وارين وويليك تعريب عادل سلامة، د ط، دار المريخ للنشر المملكة العربية، 1992.

(10) ارنست فيشر: ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(11) ينظر صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، د ط، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1988.

(12) ابن منظور لسان العرب، مادة فتح 8 دار صادر بيروت لبنان، د ت.

- 15 أحمد محمد العزب: وظيفة الرمز والأسطورة وغيرهما في الشعر العربي الحديث، مجلة الفيصل، فبراير 1984، العدد 83، ص 55.

34 رجاء عيد: الأداء الفني والقصيدة الجديدة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، أكتوبر، مارس 1987، مجلد 07، ع 281، ص 59.

35'البحراوي سيد: التضمين، مجاة فصول، مجلة فصول، المجلد السابق، أبريل-سبتمبر 1987، العدد 3-4، ص 94-95.

36 أحمد جابر عصفور تطور الوزن و الإيقاع عند صلاح عبد الصبور، مرجع سابق، ص 55.

